البطل المأساوي في مسرحية "النّائب المحترم" لأحمد رضا حوحو

Tragedic Protagonist in the Play of « The Decent Representative » by Ahmed Ridha HOUHOH

صبرينة جرو الذّيب[1]، أحمد بقار[2]

[1]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، sabrinajaroudib@gmail.com

[2]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ahmedbeggar154@gmail.com

تاريخ الاستلام:2025/01/23 تاريخ القبول:2025/09/19 تاريخ النّشر: 2025/12/15

ملخّص: صوّر لنا أحمد رضا حوحو في مسرحية" **النّائب المحترم**"واقع المجتمع الجزائري في فترة التّواجد الاستعماري التي تفرّدت عن بقية الفترات بانتشار الآفات الاجتماعية؛ التي سعى المستعمر منذ تواجده على إرسائها في المجتمع الجزائري ونشرها بين فئاته، فالهدف من هذه الدّراسة هو إبراز كلّ محاولات حوحو الإصلاحية من خلال إبراز شخصيّة البطل المأساوي في محاربته هذه الآفاتِ التي سببها المستعمر بالدّرجة الأولىوفئة نواب الشّعب من الدّرجة الثّانية، ليعطينا حوحو من خلال هذه المسرحية دروسا أخلاقية جسّدتها شخصية "زعرور" الذي أنهى حياته بالانتحار بعد تورّطه في قضايا النّصب.

كلمات مفتاحية:البطل. النّائب المحترم. أحمد رضا حوحو.التّزوير. النّصب.

Abstract: Ahmed Ridha HOUHOU has depicted in his play « The Decent Representative", the reality of the Algerian society during the colonization era. This era was unique due to social ills dissemination as sought by the colonizer since the very first day to engrain in the Algerian society. They were disseminated between all walks of life. This study aims at highlighting all HOUHOU reforming attempts through spotlighting the protagonist's tragedic character in fighting such ills caused by the colonizer in the first place, together with the people's representatives in the second place. HOUHOU, though this play, provided ethical lessons embodied by the character of "**ZAAROUR**", who end his life suiciding in the aftermath of involvement in fraud and scam cases.

Keywords: Protagonist; Decent Protagonist Ahmed; Ridha HOUHOU; Counterfeiting; Counterfeiting.

المؤلّف المرسل: صبرينة جرو الذّيب **الإيميل**: ouargla.dzsabrina.djerroudibe@univ-

1-مقدّمة :

يُعتبر الفنّ المسرحي أداةً جديرة لنقل تصوّرات الكاتب وانشغالاته النّابعة من عمق مجتمعه ليبعث لنا واقعه المعيش في قالب فنّي جمالي يعكسا مرارة الحياة وقساوتها والاضطهاد والظّلم المسلّط على أفرادها ليذهب الشّعب ضحية الاستغلال والانتهاز والمؤامرة من قِبل شخصيات جعلت من منصبها في السّلطة وسيلة لبسط نفوذها على شخصيات تجد فيها ملاذًا لتحقيق مصالحها الشّخصية وإشباع رغباتها المادّية منتهزين سذاجة بعض الأفراد وغفلتهم ليتّخذوهم قناعًا للتّستّر عن جرائهم البشعة المنتهكة لحقوق أفراد المجتمع، فشيوع هذه الظّاهرة كان جليًا في فترة التّواجد الاستعماري في الجزائر؛ إذ تفشّت العديد من الآفات الاجتماعية في تلك الفترة، من سرقة ونصب واحتيال راح ضحيتها الشّعب الجزائري بالدّرجة الأولى، ليجد الكاتب المسرحي من قلمه وسيلة لتغيير واقعه والنّحو به منحًى إيجابيا من خلال توعية الشّعب الجزائري بضرورة التّحلّي بالفطنة واليقظة في الحياة لكي لا يكونوا طعما سهلا بيد الذّئاب البشرية كما حدث مع المعلّم زعرور في مسرحية "النّائب المحترم" الذي ركّز عليه أحمد رضا حوحو كثيرًا في مسرحيته بالرّغم من أنّ المسرحية تتحدّث عن عبد المنعم النّائب البلدي، لكنّ تركيز حوحو على المعلّم زعرور من خلال تكراره أدوارَ هذه الشّخصية جعل منه بطلا مأساويا في نظر المتلقّي الذي ختم أحداث المسرحية بموت هذا الأخير بعد صراع نفسي طويل بين الخير والشّرّ مصحوبان بتأنيب الضّمير لينتصر حوحو أخيرًا للذّات الخيّرة والتي تتوّج بموت البطل منتحرا نتيجة مخالفته مبادئه المبنية على النّزاهة والإخلاص والتّفاني في العمل، إنّ التّركيز على البطل المأساوي وأبعاده المختلفة وصراعاته مع واقعه الاجتماعي في هذا المقال تبعث نوعًا من التّساؤلات في ذهن المتلقّي لما لها من أهمّية بالغةٍ في إزالة اللّبس والغموض عن المسرحية من عدّة جوانب رئيسية، ومن بين هذه التّساؤلات السّؤال الآتي:

هل وفّق أحمد رضا حوحو فعلاً في رسمه صورةَ البطل المأساوي في مسرحية **"النّائب المحترم"**؟

إذ نجم عن هذه الإشكالية مشكلات فرعية تمثّلت في التّساؤلات الآتية: وهل الأبعاد الثّلاثة للبطل المأساوي عكست لنا وقائع وحقائق عايشها الأديب في حياته، أم هي مجرّد إبداعات للأديب نابعة من

خيالاته الفنّية؟ وهل نجاح حوحو في إرساء المبادئ الأخلاقية السّامية مرهون بمدى نجاح البطل المأساوي في محاربته الفسادَوالجريمة بمجتمعه؟

فالفرضيات المرتبطة بهذا المقال كالآتي:

1. نجاح أحمد رضا حوحو في رسمه صورةَ البطل المأساوي في مسرحية " النّائب المحترم"، وذلك من خلال إرسائه جملةً من القيم الأخلاقية السّامية.

2. محاربة الفساد والجريمة لا يكون إلاّ بحضور الوازع الدّيني للفرد المرهون بمدى تشبّثه بالعقيدة الإسلامية.

3. إنّ دراسة الأبعاد بمختلف أنواعها للبطل ما هي إلاّ دراسة للحياة والمجتمع بمختلف جوانبه؛ فهي بمثابة انعكاس للمجتمع والأفراد الذين يعيشون فيه.

4. سبب تفشّي الآفات الاجتماعية في المجتمعات العربية؛ هو بعدها شبه التّام عن الجانب الدّيني وهو ما يفسّره انتشار السّرقة والنّصب والاحتيال داخل الأوساط الدّاخلية للأفراد.

5. قتل الكاتب البطلَ في آخر المسرحية؛ ما هو إلاّ رسالة توعية للمتلقّي مفادها التّخويف من عاقبة الشّخص المحتال والنّصّاب الذي يعش كلّ حياته يعاني من تأنيب الضّمير بسبب الأخطاء والجرائم التي ارتكبها في حقّ الأفراد والشّعب.

أمّا فيما يخص منهجية المقال؛ فاخترت عنوان المقال: "البطل المأساوي في مسرحية "**النّائب المحترم**" لأحمد رضا حوحو"، إذ بدأت مقدّمة هذا المقال بتمهيد صغير لموضوع المقال، ثمّ طرحت إشكالية البحث التي تضمّنت بدورها عدّة مشكلات مطروحة ضمن سياق الموضوع، كما حملت المقدّمة عدّة فرضيات لموضوع المقال وأهدافه التي تمثّلت في الآتي:

1. تسليط الضّوء على الأدب الجزائري بصفة عامّة، والمسرح الجزائري بصفة خاصّة من خلال الدّراسة واستنطاق كلّ ما من شأنه الإلمام بالحياة الاجتماعية للجزائريين من جميع جوانبها.

2. إبراز الجانب الإصلاحي في المسرحية، وهو ما سعى إليه حوحو لإيصاله للمتلقّي في جميع مسرحياته ممّا يكشف عن الفكر الإصلاحي للأديب وانتمائه لجمعية العلماء المسلمين التي كان تواجدها جليًا وبارزا في تلك الفترة.

3. الكشف عن الجانب السّياسي الخفي للمسرحية؛ الذي يحمل في ثناياه نقدًا لاذعًا لفئة نواب الشّعب التي تملّقت السّلطةَ عن طريق الاحتيال والتّزوير.

4. ضرورة أخد الحيطة والحذر في الحياة، بعدم الاستخفاف بالأمور والنّظر إليها من جانبها الظّاهري، بل وجب النّظر إليها من جميع الزّوايا والإلمام بجميع التّفاصيل الصّغيرة التي من شأنها قلب الموازين للأسوأ ليذهب الفرد من خلال إهمال جزء صغير إلى الهاوية مصحوبًا بتأنيب الضّمير.

وقمت بدراسة صورة البطل المأساوي في المتن وأبعاده المادّية والاجتماعية والسّياسية، كما كان لعنصر صراع البطل وواقعه الاجتماعي قسط معتبر من الدّراسة؛ وذلك بتضمّنه عنصري تأنيب الضّمير ومحاربة الفساد والجريمة، وختمت المتن بالنّهاية المأساوية للبطل، وفي الأخير خاتمة المقال التي تضمّنت النّتائج المتحصّل عليها واقتراحات مرتبطة بموضوع المقال.

يُعدّ أحمد رضا حوحو أحد أعمدة كتابة المسرح الجزائريّين الذين أسهموا بقلمهم في تصوير واقع المجتمع الجزائري إبّان فترة الاستعمار الفرنسي التي شهد فيها الشّعب نوعًا من الاستغلال والانتهاز من قِبل شخصيات في السّلطة التي صعدت مناصبَها من خلال تزويرها أصواتَ الشّعب في الانتخابات لتتّخذ من مكانتها ونفوذها أداة للاستغلال والاحتيال واستنزاف خيرات الأمّة ليذهب المثقّف الجزائري ضحية هذه الفئة من الأشخاص نتيجة جهله القوانينَ التي تمليها الحياة، كما كان للعجز المادّي والفقر منفذًا كبيرا تدخل من خلاله ممارسات النّصب والاحتيال على شخصية البطل المأساوي، والتي يركّز حوحو من خلالها لإبراز بعض الخصائص والثيمات البارزة في المسرحية، والتي تمثّلت فيما يأتي:

2.البطل المأساوي في مسرحية "النّائب المحترم"

2 .1 صورة البطل المأساوي في مسرحية "النّائب المحترم":

جسّدت مسرحية "النّائب المحترم" الدّراما التّراجيدية البحتة للبطل المأساوي؛ إذ قدّم لنا حوحو هذه الشّخصية أنّها شخصية مثقّفة لا تمتلك دخلا سوى ما تتقاضاه من عملها بصفتها معلّمًا في مدرسة خاصّة، تُعرف هذه الشّخصية بتفانيها في عملها، لكنّ الواقع وقوانين الحياة القاسية أملت عليه عدّة تغيّرات لوّنت مسار حياته بالأسوأ، فبعدما كان شخصا شريفا نزيها صار محتالاً يتعامل مع عصابة من

المحتالين جعلت من منصبها في الدّولة أداة لبسط نفوذها على الشّعب الذي راح زعرور ضحيته، فبعد طرده من العمل من قِبل مدير المدرسة خلاّف بسبب عدم موافقته على تزوير أوراق التّلميذ الذي سبّب انزعاجا كبيرا لولي التّلميذ، كما كانت لخطبة "ناجية" ابنة خلاّف من قِبل البطل وقع وأثّربيّن أفاض الكأس وأثار غضب المدير أدّى إلى طرده من المؤسّسة، ليبقى عاطلا عن العمل لا يمتلك مهنة يمتهنها سوى التّعليم، والذي وجدته مدام سيزان وعبد المنعم سببًا للاستغلال والانتهاز، كما كانت سذاجة البطل وغفلته سببًا آخر يتجسّد من خلاله الاستغلال، فجهل البطلحقيقةَ المدام سيزان وعبد المنعم **"النّائب البلدي"** وحاجته للمال والعمل جعله يتورّط في صفقات مشبوهة تتعلّق بصفقة سيارات البلدية القديمة وناقلاتها التي تُباع على أساس أنّها جديدة، ليقع في شباك المؤامرة الشّنيعة المنتهكة في حقّ الشّعب من خلال توقيعه على الأوراق ليكون في واجهة هذه الأعمال ليتستّر بذلك على عبد المنعم و تبقى سمعته نظيفة أمام الشّعب، وليكون مصير البطل الانتحار بعد علمه بالمؤامرة التي حِيكت في حقّه وحقّ الشّعب بعد صراع طويل ومعاناة تأنيب الضّمير، ليمرّر حوحو من خلالها رسالة توعية لشعبه مفادها توخّي الحيطة والحذر من كلّ الأشخاص حتّى المقرّبين؛ لأنّ النّاس إذا تعلّق الأمر بالمالوالمصالح الشّخصية لا يصبح قريبك بل عدوّك، وهو منطق الحياة الذي ركّز عليه حوحو في هذه المسرحية ، فمدام سيزان بالرّغم من أنّها تمثّل أحد معارف البطل لكنّها وقت مصلحتها الشّخصية ألغت هذه العلاقة التي تربطها وتناستها لغرض الحصول على المال بتوريطه في صفقات مشبوهة لتضعه في مواجهة هذه الأعمال الإجرامية في حقّ الشّعب مستغلّة سذاجته، وهذا ما جاء في الحوار الذي دار بينها وبين عبد المنعم:

سيزان: يبدو لي أنّي وجدت الرّجل الصّالح لهذه المسألة، ولغيرها من المسائل، سنجعل له راتبا شهرياوسيبقى تحت تصرّفنا كما نريد ونشتهي.

عبد المنعم: وهل يقبل ربع المالية في قضية النّاقلات؟

سيزان: سوف يقنع بأقلّ من ذلك، ولكن سيأخذ الزّائد.

عبد المنعم: تلك مسألة تخصّك، ومن هذا الرّجل؟

سيزان: زعرور.

عبد المنعم:أيّ زعرور هذا؟ إنّي لا أذكره...

سيزان: المعلّم الذي يقوم بإعطاء الدّروس العربية الخاصّة لابن أخي بيار.

عبد المنعم: لقد ضاع صوابكِ يا سيزان، أتريدين حقًّا أن تستخدم ذلك المسكين بلحيته وطربوشه الهابط على أذنيه؟ أتريدين أن نستخدم أبلهًا في قضايا شائكة؟ يبدو أنّكِ لا تهتمّين بشيء سوى قبض المالية أمّا نتائجها ومسؤولياتها فلا تهمّكِ في شيء.

سيزان: ليس هناك أيّ خوف من جهته، فالرّجل بليد، ساذج طيّب القلب،وقد طردوه من عمله بالمدرسة. أنا أتكلّف به وأتولاّه.

عبد المنعم: ولكن بعدما يطّلع على أسراري وأموري يأخذ في تهديدي بالفضيحة لابتزاز الأموال منّي.

سيزان: أنت على خطأ، لا يعمل معك ما يسوؤكأبدا، أنا كفيلة به وبترويضه.(منور أحمد، 2015)"[1]

إنّ بَلادة وسذاجة الشّخصية الرّئيسية كانت سببًا في استغلالها بالرّغم من أنّها شخصية مثقّفة ومتعلّمة لكنّ الحياة ورّطتها في متاهاتها ومكائدها المرتبطة بالفساد والجرائم بحقّ الشّعب والأمّة عامّة، فالعلم والثّقافة لا يكفيان وحدهما في هذه الحياة، بمقصود آخر إنّ الأخلاق والمبادئ الفاضلة التي يتخلّق بهما صاحب العلم لا تكفيه في مواجهة مطبّات الحياة وتعقيداتها،فالبطل هنا نجده يفتقر حاسّة الحدس التي تجعله يتّخذ مواقفَ عن الأشياء من حوله، فهو في نظر محمّد مصطفى كامل يمثّل الحالة الثّانية التي تميّز البطل" الحالة الأولى داخلية، حيث يقوم البطل باستخدام حدسه ليأخذ موقفًا من الأشياء من حوله، الحالة الأخرى خارجية ومن خلالها يقوم البطل بالتّعامل مع المواقف حسب ما يؤمن به ويتوافق مع مبادئه"(كامل محمّد مصطفى، 2013)[2] غياب الحدس والفطنة جعلت من شخصية زعرور تتميّز بنوع من السّذاجة والبلاهة على غير بعض الشّخصيات البطلة التي تمتلك الفطنة وتتميّز بالحيلة، فهو شخصا يسير وفق مبادئه ومواقفه لا أكثر، فلو رجعنا إلى بداية المسرحية لوجدنا شعارًا تكرّر أكثر من مرّة على لسان الشّخصية الرّئيسية، والذي تمثّل في **"لا ينجح في الحياة إلاّ الرّجل الشّريف"**(منور أحمد، 2015)[3]، فحوحو ركّز عليه ليثبت العكس؛ لأنّ الواقع الاجتماعي في المجتمع الجزائري لا ينجح فيه إلاّ الإنسان المخادع والمحتال، فالشّريف في نظر حوحو لا نجاح له في الحياة سوى الآلام والأوجاع التي ترسم مسار حياته، إذ تُلبسها

ثوب الحزن والألم اللاّمتناهي وهو ما عاناه زعرور في حياته، فحوحو من هذا المنطلق يمرّر رسالةً لتوعية الشّعب بضرورة التّحلّي بالفطنة والحيلة في الحياة؛ لأنّ طبيعة المجتمع والأفراد تتطلّب ذلك، فأهمّ شيء عندها المظهر الخارجي وليس القيم الأخلاقية التي يحملها الفرد،وهو ما جعل زعرور يعيش في دوامة كان الضّحية الأولى لها، دوامة حياة أبطالها شخصيات شرّيرةوعصابات تجعل الأساس الأول في حكمها المظهر الخارجي لتجعل منه منطلقًا للاستغلال والانتهازوالعقاب وهو ما تعلّمه زعرور من زميله غنّام في كيفية الحكم على التّلاميذ وعقابهم من منطلق شكلهم ومظهرهم الخارجي:

غنّام: أنا لم أقل أنّي ضبطته متلبّسا بجريمته. أو أنّه هو الذي يشوّش، قد يكون هو، وقد يكون غيره، لكن دائما هو الذي يعاقب.

زعرور: ولماذا تعاقبه ما دمت لم تتحقّقأنّه هو المجرم؟

غنّام: أمر بسيط للغاية؛ لأنّ وجهه يدلّ على ذلك، وجهه يشبه التّشويش بالموسيقى...

عرفي: وبأيّ حقّ تختار تلميذًا من دون بقية التّلاميذ تعاقبه على الجميع.

غنّام: عفوك يا صديقي، جمال الدّين أعاقبه على التّشويش بالموسيقى فقط، أمّا إذا كان التّشويش بالقذف بالحجارة، فالتّلميذ خالد هو الذي يعاقب. وإذا وجدت مدخنة القسم مسدودة بالأوراق، أعاقب محمود، وصالح إذا وجدت الغراء فوق مقعدي، وهكذا كلّ تلميذ ودلالة وجهه.

زعرور: هذا حكم عجيب.

غنّام: لا شكّ في ذلك، كلّ واحد ومسؤوليته في الحياة، فالتّلميذ الذي تتوسّم في وجهه القذف بالحجارة تستطيع أن تتحقّق أنّه المجرم كلّما وقع هذا النّوع من الإجرام في القسم، وقليلا ما يكون غيره.

زعرور: وإذا كان غيره أصبح التّلميذ بريئا وعُوقب ظلما.

غنّام: إذا كان بريئا وعُوقب فخطأ شرعي يزيدني هيبة عند التّلاميذ؛ لأنّ الإنسان الذي يريد السّيطرة على التّلاميذ أو غيرهم على السّواء لابدّ له من الظّلم بين الفينة والفينة، لا الظّلم هو الذي يثبّت أقدام الحكم.

زعرور: لكن، هل فكّرت في موقف هذا التّلميذ المظلوم وحالته النّفسانية؟

غنّام: فكّرت ووجدت أنّ هذا يعطيه درسًا ويعدّه للحياة؛ لأنّ الحياة كلّها ظلم، فيجب أن يتمرّن على ذلك من الآن.

عرفي: ألا ترى يا أستاذ أنّه من الأحسن أن يبحث الإنسان عن الظّالم الحقيقي ويعاقبه؟

غنّام: الظّالم يختاره الإنسان ولا يبحث عنه، ثمّ إنّ كلّ إنسان ودلالة وجهه، وهذه هي الحياة... نحن الثّلاثة لو لم تكن وجهتنا تدلّ على البؤس لما كنّا فيه."(منور أحمد، 2015)[4].

إنّ هذا المقطع الحواري الذي دار بين كلٍّ من المعلّم غنّام والمعلّم زعرور يكشف عن واقع الحياة وحقائقها التي تهتمّ بظاهر الأشياء لا مضامينها؛ لأنّ المضمون يتطلّب بذل مجهود كبير للوصول إليه وهو ما اعتمد عليه غنّام، فهو لا يبحث عن الظّالم الحقيقي من تلاميذه لعقابهم، بل يختاره ولا يهمّه ظلمه التّلميذَ وما يحسّ به؛ فالظّلم عنده الأساس والمنطلق الذي تسير وفقه الحياة، كما يجد في ظلمه التّلاميذَ درسًا يعدّهم للحياة ويدرّبهم على قساوتها، فزعرور لم يكن يعلم أنّ كلّ المبادئ الظّالمة المجحفة في حقّ تلاميذه سوف تتكرّر معه ويصبح بدل الشّخص الظّالم شخصًا مظلومًا ليحسّ بعدها بالألم والحزن الذي عايشه كلّ تلميذ مظلوم، فتركيز حوحو على العقاب الذي تحقّقه العدالة الإلهية الذي تحقّق في النهاية التّراجيدية للبطل ما هو إلاّ رسالة توعوية للشّعب الجزائري بضرورة التّحلّي بالقيم النّبيلةوالأخلاق الفاضلة التي جاء بها ديننا الحنيف والسيّر على منوالها.

2.2أبعاد البطل في مسرحية "النّائب المحترم":

حملت مسرحية "النّائب المحترم" زخمًا متنوّعا من الأبعاد التي ارتبطت بالبطل المأساوي "زعرور" أهمّها الأبعاد الآتية:

أ/ البعد المادّي (الفيزيولوجي):

"ويهتمّ بالتّركيب الفيزيولوجي للشّخصية، ويمكن تمثيل ذلك بمجموعة من النّقاط تمثّل الجنس (ذكر أم أنثى)، السّن، الطّول، الوزن، المظهر العامّ...إلخ"[5]،فالبعد المادّي يرتكز على المواصفات الخارجية للشّخصية، وهذا البعد في المسرحية متجسّدًا في المظهر العامّ لشخيصة البطل "زعرور" والذي ورد في الحوار الذي دار بين كلٍّ من المدام سيزان وعبد المنعم:

سيزان: المعلّم الذي يعطي الدّروس العربية الخاصّة لابن أخي بيار.

عبد المنعم: لقد ضاع صوابكِ يا سيزان، أتريدين حقّا أن تستخدم ذلك المسكين بلحيته وطربوشه الهابط على أذنيه؟ أتريدين أن نستخدم أبلهًا في قضايا شائكة؟ يبدو أنّكِ لا تهتمّين بشيء سوى قبضِالمالية أمّا نتائجها ومسؤولياتها فلا تهمّكِ في شيء.

سيزان: ليس هناك أيّ خوف من جهته، فالرّجل بليد، ساذج طيّب القلب، وقد طردوه من عمله بالمدرسة. أنا أتكلّف به وأتولاّه."(منور أحمد، 2015)[6].

إنّ الحوار الذي جرى بين كلٍّ من المدام سيزان وعبد المنعم ينمّ عن طبيعة المجتمع الجزائري وتركيبته التي تعكس بدورها طريقة تفكيره التي ترتكز بالدّرجة الأولى على المظاهر الخارجية وهو ما ركّز عليه عبد المنعم في حكمه على المعلّم زعرور أنّه أبله معتمدًا في حكمه على اللّباس والمواصفات الخارجية للشّخصية مثل: (أتريدين حقًّا أن تستخدم ذلك المسكين بلحيته وطربوشه الهابط على أذنيه؟) التي كانت سببا في رفض عبد المنعم المعلّمَ زعرور لتولّيه زعامة النّصب والاحتيال التي يسمّيها عبد المنعم:القضايا الشّائكة، فلو كان زعرور من الشّخصيات التي تهتمّ بمظهرها الخارجي لوجد قبولاً وترحيبا واسعًا من عبد المنعم وحظي باحترام مثالي، فعبد المنعم ما هو إلاّ عيّنة تعكس طريقة تفكير الشّعب الجزائري التي تحكم على الأشخاص من مظهرهم لا مضمونهم، وما تحمله من معارفَ وقيم أخلاقية سامية.

ب/ البعد النّفسي (السّيكولوجي):

يُعتبر البعد النّفسي جانبًا أساسيًا يبلور لنا معاناة ومأساةَ البطل التي تلخّص بدورها فحوى المسرحية ومحتواها لتعلّقه الكبير بأحوال البطل النّفسية والفكرية"وهو ما يتعلّق بالأحوال النّفسيةوالفكرية"(لمباركية صالح، 2007)[7] ، كما يرتبط الدّاخلي للشّخصية " وهو الذي يرتبط بالجانب الدّاخلي للشخصية، وما تعانيه الشّخصية من حالات نفسية متمثّلة بالاضطرابات والنّوبَات المرضية، والتي تتلخّص فيما يأتي: الفكر، الإدراك، المشاعر، السّلوك، العزيمة، الانفعالات الوجدانية والطّباع، درجة الذّكاء، الحالات النّفسية المزاج، وغير ذلك من الحوافز الفعّالة في تغيير سلوكياتها مع تطوّر الأحداث"(جذري عبد المجيد، 2002)[8]، إنّ تركيز حوحو على هذا البعد لم يكن محلّمصادفة، بل كان يتعمّد ذلك ليصوّر لنا الحياة

النّفسية للفرد الذي وقع ضحية الغدر والخديعة من عصابات تعيش في هذه الحياة بالاحتيال على النّاس بإظهار الجانب الطّيّب الحسن لهم لإيقاعهم في شرّ جرائم أعمالهم المنافية للأخلاق المتعلّقة بالنّهب والسّرقة والاحتيال التي راح ضحيتها المعلّم زعرور، فالمعلّم زعرور عانى اضطراباتٍ نفسية حادّة بعد اكتشافه حقيقة كلٍّ من مدام سيزان وعبد المنعم، وما سيؤول إليه حاله بعد تورّطه في جرائمهم الشّنيعة:

سيزان: يا عزيزي زعرور... أنت على خطأ في فهم الدّنيا والحياة... أنت لازلت تؤاخذني وتحقد عليّوتظنّ أنّي خدعتك... نعم لقد خدعتك، لكنّ في مصلحتك، ولو لم أكن أحبّك لما بذلت جهدي فيإدخالك في هذه الأعمال الرّاقية.

زعرور: أعرف جيّدا قيمة حبّك لي يا سيّدتي، سيما بعدما سمعتكِ أخيرًا وأنتِ تقولين لعبد المنعم ما نصّه (يا حبيبي، هذا حمار زعرور يخيفني كثيرا) واستغرقت في الضّحك.

سيزان: آه ... تعلّمت استراق السّمع من وراء الأبواب المغلقة... على رسلك إذن، ولا يغيب عن ذهنك أنّي أنقذتك من الفاقة والشّر، وحالتك اليوم أحسن بكثير من ذي قبل بفضلي أنا، وأرجو ألاّ تنسى ملابسك القديمة المرقّعة... إنّها ما زالت بانتظارك.

زعرور: إنّي لم أرض بهذه الحالة الشّاذّة، وهذه الأعمال الدّنيئة السّافلة، أعمال اللّصوصية والخداع، إلاّ من أجلك أنت لعبتِ بي وبسذاجتي حتّى أنّي كنت أحسبك امرأةً شريفة، فإذا بك لصّة محترفة، ومحتالة ماكرة.

سيزان: المصادفة وحدها هي التي وضعتك في طريقي... في الوقت الذي كنت أبحث عن شخص لهذه القضيّة ... ثمّ، لولم أكن أعطف عليك لما قدّمتك لهذا العمل، وكانباستطاعتي أن أجد مئات غيرك يرضون به صاغرين.

زعرور: لو قتلتني لكان أحسن ... ولكنت أرحت حياتي من العذاب ... الموت أفضل عندي من هذه القاذورات التي أتخبّط في حمأتها.

سيزان: أنا لست فاهمة ماذا ينقصك؟ لقد ربحت ما يزيد عن مائة ألف فرنك في أقلّ من شهر.

زعرور: ضميري... ضميري... شرفي... شرفي...

سيزان: دعك من خزعبلات الضّمير والشّرف.

زعرور: ضميري هو الذي يناديني، لا يدع لي فرصة أستريح فيها، لا ليلا ولا نهارا، إنّ هذه الأعمال المنحطّة، التي أنا قائم بها اليوم قد حطّمتني، وهدمت كياني، أنا مختفٍ هنا بين هذه الجدران لكن كلّها في الخارج تنظر إليّباحتقار، وتسخر منّي...تطّلعت من النّافذة ذلك اليوم فشاهدت ثلاث سيارات نقل مكتوب عليها اسمي ... لما شاهدتها قفزت، وأغلقت النّافذة. كأنّ أفعى لسعتني، ولكنّ صوت النّاقلاتِ كان يلاحقني، وكنت أسمعها تصرخ من بعيد: يا خائن، يا سارق ... يا خائن ... يا سارق."(منور أحمد، 2015)[9].

إنّ تأنيبَ الضّمير الذي عانت منه الشّخصية البطلة ما هو إلاّ تصوير للجانب النّفسي الذي يبعث في نفس المتلقّي نوعًا من الخوف والرّهبة لما يؤول إليه حاله عند تورّطه بقضايا تنتهك حياة الأفراد فدقّة التّصوير والوصف التي اعتمدها حوحو أثناء تصويره الحالةَ النّفسية لزعرور تجعل من المتلقّي يحسّبشاعةَ المنظر والصّورة التي آل إليها المعلّم زعرور ليمرّر من خلالها رسالة توعية وإصلاح للشّعب الجزائري بضرورة التّمسّك بالعقيدة الإسلامية في الحياة اليومية.

ج/ البعد السّياسي:

يُعدّ البعد السّياسي منفذا أساسيًا نكتشف من خلاله الحياة السّياسية التي عايشتها الشّخصية البطلة والتي تعكس بدورها الأوضاع الرّاهنة في فترة التّواجد الاستعماري التي شهدت فئة نواب الشّعب الذين يعجزون عن اتّخاذ قرارات تكون في مصلحة الأمّة"، وهذا يعني أنّ النّواب لا يقفون عند حدود الامتناع أو العجز عن اتّخاذ قرارات تكون في مصالح الأمّة، بل يذهبون أحيانًا في الاتّجاه المعاكس لمصلحة الأمّة والمعارض لمطامحها ورغبتها في التّحرّر من القيود التي كبّلها بها النّظام الاستعماري"(منور أحمد، 2005)[10]، فتورّط زعرور بجرائم النّصب والسّرقة جعلته يعارض كلّ ما من شأنه أن يسهم بتطوير الأمّة ومراعاة المصلحة العامّة للشّعب وهو ما أملاه علينا المقطع الحواري الذي بين أيدينا:

عبد المنعم: هل سأل عنّي أحد؟

زعرور: لم يسأل عنك أحد يا سيدي النّائب المحترم.

عبد المنعم: إذن، كن على استعداد، سيأتيك شخص هنا في مسألة يروم قضاءها... وبما أنّ هذه أول مسألة تقوم بها في المكتب اخترت لك قضية سهلة، وبما أنّ وجهك مكشّر تحتلّه هذه القطوب البغيضة اخترت لك إنسانا ذا بشاشة.

زعرور: أمرك يا سيّدي النّائب المحترم.

عبد المنعم: قضيّة هذا الرجل: لديه مقهى، وقرب المقهى "بوالة" تؤذي رائحتها عملاءه من رواد المقهى ... وسيطلب نقلها من موقعها، أطلب منه خمسين ألف فرنك مقابل ذلك.

زعرور: مقابل أيّ شيء هذا المبلغ؟

عبد المنعم: إنّه على علم بذلك... أطلب منه خمسين ألفًا وسيدفعها لك حالا ... وسآمر بإزالتها وبنائها قرب مقهًى آخر.

زعرور: وماذا يكون موقف صاحب المقهى الآخر؟

عبد المنعم:سيأتي هو بدوره، وسيدفع خمسين ألف فرنك مقابل إزالتها ... وهكذا من مقهًى إلى آخر إلى أن تطوف البلاد كلَّها ... ولقد قدّرت مدخولها بمليونين من الفرنكات. عمل سهل ومدخوله وافر... أليس كذلك؟

زعرور: ذلك هو الواقع يا سيّدي النّائب، غير أنّي أرجو أن تقابله بنفسك وتعفيني من هذا العمل.

عبد المنعم: لا، ستقابله حتما، ويجب أن تتمرّن على الأعمال وليس من المعقول أن تبقى هكذا عاطلا بلا عمل، سيما وأنّني سأكونبحاجة ماسّة إليك، لأعمال عديدة في المستقبل القريب.

زعرور: أشكرك يا سيّدي النّائب المحترم.

عبد المنعم: (غاضبا) ألا تنته من هذه السّخرية وهذا النّائب المحترم؟

زعرور: كيف تريدني أن أناديك يا سيدي النائب المحترم؟

عبد المنعم: تكلّم مع إدارة البلدية بالتّلفون، واطلب منهم إرسال بقية مبلغ النّاقلات.

زعرور: لقد أرسلوها يا سيّدي الرّئيس، وهذا الشّيك.

عبد المنعم: لماذا لم تخبرني بذلك؟اذهب حالاًإلى البنك واصرفه.(منور أحمد، 2015)[11].

يعكس لنا الحوار الواقع السّياسي الرّاهن إبّان فترة التّواجد الاستعماري الذي جسّدته شخصيات منتقاة من الواقع الجزائري لتعكس لنا فئة النّواب **"نوّاب الشّعب"** التي كان لها يد في تعطيل كلّ ما من شأنه أن يخدم المصلحة العامّة للشّعب والبلاد لتحقّق من خلالها مصالحها الخاصّة؛ فأصل هذه الفئة مبنيٌ كلّه على الخداع والتزوير وهو ماحصل في قضيّة تولّيهم مناصبَهم التي كان أساسها تزوير أصوات الشّعب في الانتخابات، لذلك نجد حوحو يوجّه انتقداه لهذه الفئة بكثرة باستعماله أسلوبَ السّخرية والتّهكّم وهو ما جاء على لسان المعلّم زعرور بتكراره عبارةَ**"النّائب المحترم"**أكثر من مرّة لتذكير هذه الفئة بحقيقة واقعها المبني كلّه على التّحايل والخداع، كما نجد مساهمة الشّخصية البطلة بشكل لافت في معارضتها المصلحةَ العامّة للشّعب بالرّغم من موقفها الرّافض أساليبَ النّصب والاحتيال، لكنّ سكوتها وتخوّفاتِها من النّتائج جعلها تمثّل أحد رموز الفساد في الأمّة.

3.2 سمات البطل المأساوي في مسرحية " النّائب المحترم":

حملت مسرحية "النّائب المحترم" بعض السّمات التي تفرّد بها البطل المأساوي عن بقية الشّخصيات الأخرى، وهي كالآتي:

أ/ النّزاهة:

عُرف البطل المأساوي بتفانيه في عمله وإخلاصه لمهنة التّعليم التي كان يمارسها قبل تورّطه في الصّفقات المشبوهة، وهو ما يوضّحه هذا الحوار الذي دار بين كلٍّ من عبد الرحيم ولي التّلميذ والمدير خلاّف والمعلّم زعرور:

عبد الرحيم: يا سي زعرور، تسلّمت بالأمس نتيجة اختبار ابني، وجئت أناقشك في شأنها لأنّي لم أفهم ما جاء فيها.

زعرور: إنّي مستعدّ يا سيّدي، لكنّي أودّ ألاّ يكون ذلك أمام التّلميذ.

خلاف: هذا حقّ. وقاعدة مهمّة،انصرف يا بني اذهب للّعب مع الأولاد (يخرج التّلميذ) ولد ذكيفاهم.

عبد الرّحيم: الفضل في ذلك يعود لأستاذه سي زعرور،وفي نيتي أن أكلّفه بإعطائه دروسًا خاصّة في المنزل بأجرة مضاعفة.

زعرور: أنا مستعدّ يا سيّدي لأيّة خدمة...

عبد الرّحيم: واسمح لي الآن في مسألة آلمتني جدّا.

خلاّف: إنّها غلطة بسيطة يا سيّدي يمكن إصلاحها.

عبد الرّحيم: هذه ورقة اختبار ابني، وأنا متألّمجدّا من هذه النّتيجة السّيّئة.

خلاّف: لقد أفهمتك يا سيّدي أنّ المسألة وقع فيها خطأ من الكاتب الذي نقل الأرقام من السّجل العامّ.

زعرور: أنا متأسّف يا سيّدي، ليس لديّ كاتب، أنا أنقل نتائج الأوراق بنفسي، وليس فيها أدنى خطأ هذه هي نتيجة اختبار ابنك.

خلاّف: السّيّد عبد الرّحيم وعدك الآن بدروس خاصّة لابنه وبأجرة مضاعفة، أرجو أن تجد الخطأوتصلحه.

زعرور: لا وجود لهذا الخطأ يا سيّدي، تلك هي النّتيجة.

عبد الرّحيم: كيف ذلك؟ ... صفر في النّحو، صفر في الحساب، صفر في التّاريخ، وصفر في الإملاء وصفر في الإنشاء.

خلاّف: راجع السّجل جيّدا، لابدّ أنّك واجد هذا الخطأ الشّنيع، والصّفر لا بدّ من أنّه عشرة، راجع السّجل.

زعرور: هذا هو السّجل (يراجعه).

خلاّف: يا سيّدي عبد الرّحيم، أرجو أن تتوسّط بما لديك من جاه لإنهاء قضيّة وسام المعارف الذي وعدوه به.

عبد الرّحيم:آه، السّيّد زعرور طلب وسام المعارف؟ ليطمئنّ خاطره، سأتوسّط له، وبعد شهر يكون وسامه على صدره.

زعرور: شكرًا يا سيّدي، بارك الله فيك (يناول السّجل للمدير) إليك السّجل يا سيّدي، انظر بنفسك.

خلاف:ها، الحمد لله، وجدت الغلط...

زعرور: لا وجود للغلط يا سيّدي (يقرأ) بدري عبد الرّحيم صفر في النّحو، وصفر في الحساب، صفر في التّاريخ، صفر في الإملاء، صفر في الإنشاء.

عبد الرّحيم: (غاضبا) لماذا كان ابني هو الأخير في القسم.

زعرور: لأنّه تحصّل على أصفار في أغلب الموادّ.

خلاّف: ولماذا تحصّل على أصفار في أغلب الموادّ؟

زعرور: لأنّه كسلان، بليد، لا يفهم ولا يعمل.

عبد الرّحيم: أقول لك أنّ هذا الاختبار مزوّر، وأنت هو البليد الكسلان، وسيفارق ابني مدرستك حالا مادام معلّموها من هذا النّوع الفاسد.

(يخرج غاضبا)

خلاّف: لقد أسأت الأدب مع السّيد عبد الرّحيم، يجب عليك أن تلحق به وتستسمحه."(منور أحمد، 2015)[12]

إنّ هذا الحوار يعكس لنا الواقع الذي آل إليه قطاع التّربية – آنذاك- إذ لم ينج هو الآخر من الفساد الذي مسّ مختلف القطاعات، وهو ما يوضّحه حال التّعليم في المدارس الخاصّة، كما يكشف عن طريقة تفكير بعض أفراد الشّعب الجزائري التي تهتمّ بالظاهر لا بالمضمون وهوما تمثّله شخصية عبد الرّحيم ولي التّلميذ الذي يهمّه فقط حصول ابنه على أعلى العلامات بأيّة طريقة كانت، إذ نجده يستعمل مختلفسبل الإغراء والوساطة مع المعلّم زعرور لإقناعه بتغيير نتائج الامتحانات التي تحصّل عليها ابنه، فهو لا يدرك أنّه بهذا التّصرّف يفسد طباع ابنه عوض إصلاحها وتشجيع ابنه على الدّراسة والمواظبة يشجّعه على الفساد وتزوير النّتائج الأوراق والكذب بطريقة غير مباشرة ليكون من خلالها عيّنةً من المجتمع يقوم أساسه على الغشّ والتّزوير وهو ما أسهمت فيه شخصية المدير خلاّف، فما يهمّ هذه الشّخصية فقط سمعة مؤسّستها وما تجنيه من مال عوض اهتمامها بمصلحة التّلميذ وتعليمه المبادئ السّامية والأخلاق الفاضلة التي تحارب الفساد بشتّى أنواع ، ليعطينا حوحو عيّنة قليلة أصبح وجودها نادرًا في مجتمعنا الجزائري من الأفراد الذين يجعلون من النّزاهة أساس كلّ شيء في عملهم،وهو ما أوضحه تصرّف المعلّم زعرور مقابل كلّ الإغراءات

والوساطات التي تعرّض لها من طرف ولي التّلميذ عبد الرّحيموالمدير خلاّف الذي تُوّج بالفرض القاطع لتزويره نتائجَ الامتحانات ليكون مصيره في الأخير الطّرد بدل الثّناءوالتّكريم.

ب/ الصّدق:

رسم حوحو شخصية البطل المأساوي في مسرحية " **النّائب المحترم**" شخصية صادقةً صريحة في قولها راجع لطبيعة الشّخصية؛إذ ركّز حوحو في بنائه مسرحيتَه على أن تكون هذه الشّخصية شخصيةً ساذجة بليدة عفوية تنعدم عندها الحيلة والمكر، كما هو موجود عند باقي الشّخصيات، ليصوّر لنا حياة هذه الفئة وما تتعرّض له من انتهاز واستغلال من قِبل أفراد جعلوا من النّصب والاحتيال أساسًا لهم وهو ما يوضّحه الحوار الذي أمامنا:

كمال: أنت من أصدقاء مدام سيزان؟

زعرور: أنا صديق مدام سيزان وشريك سي عبد المنعم.

كمال: ها... شريك عبد المنعم في العمل... لك مدّة وأنت في العمل معه؟

زعرور: لي ربع ساعة تقريبا.

كمال: هكذا؟ الآن فهمت، أنت الذي دخلت معها في مسألة السّيارات؟

زعرور: يا أخي لا أجيبك عن سؤالك، واسمح لي؛ لأنّ كتمان السّرّ ضروري في المعاملات التّجارية ...

كمال: هذا حقّ، سيما عملية السّيارات.

زعرور: ربّما.

كمال: لا، لا دون شكّ، أنا أعرف هذه الصّفقة جيّدا وأعرف شخصًا لو قبل العمل بمبلغ زهيد من المال لكان قبلك في هذه المعاملة.

زعرور: (ضاحكا) بمبلغ قليل، مثلي؟ إنّك لا تعرف ما تقول.

كمال: المسألة بيننا، ما المبلغ الذي قدّمه لك مقابل هذه المعاملة؟

زعرور: الآن أستطيع إجابتك إلى ما تريد أن تعرفه؛ لأنّ المسألة متعلّقة بي شخصيا وليست متعلّقة بالتّجارة، إليك هذا الشّيك، انظر بنفسك.

كمال: خمسة وأربعون ألف فرنك؟ أيّ شيء هذا؟

زعرور: راتب شهر ونصف لا غير...

كمال: إنّك تهزأ بي من دون شكّ، 45 ألف في قضيّة السّيارات؟

زعرور: يمكن لأنّي لم أقم بعمل هذا المبلغ الكبير،أعطني هذا الشّيك من فضلك.

كمال: يبدو لي أنّك أحد اثنين... إمّا أن تكون شيطانا كبيرا تريد أن تلعب، وإمّا أن تكون ساذجا لعب بك عبد المنعم.

زعرور: لا أسمح لك بإهانتي، وأنت لا تعرفني ولا أعرفك.

كمال: اسمع، لا داعي لهذه الألاعيب مع شخص ربّما شاهدك في القريب أمام محكمة التّأديب...

زعرور: أنا أمام محكمة التّأديب؟ لماذا؟

كمال: كن مطمئنّا من ناحيتي، لست أنا الذي يقوم بفضح هذه المسألة، لكنّي أعرف أشخاصًا آخرين يرغبون في التّحصيل على مالية من هذه القضية لو لم تقبلها أنت بثمن بخس، وإنّي أتعجّب كيف رضيت أن تخاطر بحياتك من أجل 45 ألف فرنك.

زعرور: يا أخي، إنّي لا أفهم ما تقول...وأراك تتحدّث عنها كأنّها مسألة خطيرة لا تمتّللشّرف بصلة."(منور أحمد، 2015)[13].

من الملاحظ في طريقة ردّ البطل عن التّساؤلات التي طرحها كمال؛ أنّ شخصية زعرور شخصية صادقة صريحة ليس للكذب مكان في حياتها، كاتمة للسّرّ خاصّة لما سأله عن طبيعة العمل ونوع الصّفقة وهو ما يوضّحه قوله: (يا أخي لا أجيبك عن سؤالك، واسمح لي؛ لأنّ كتمان السّرّ ضروريّ في المعاملات التّجارية...)، فالصّدق أساس ركّز عليه حوحو في مسرحيته ليثبت للنّاس حقيقة الحياةوليثبت أيضا أنّ الحياة تسير عكس مبدأ زعرور، الذي يسند النّجاح فيه للرّجل الشّريف فقط، فالنّجاح الحقيقي يكون فقط للرّجل المخادع والمحتال أمثال عبد المنعم (النّائب البلدي).

ج/ العاطفة:

ركّز حوحو في مسرحيته "**النّائب المحترم**" على رسم شخصيّة البطل المأساوي "**زعرور**" شخصية رومانسية محبّة وهو ما يوضّحه الذي دار بين كلٍّ من المعلّم زعرور والمعلّمة ناجية ابنة مدير المدرسة خلاّف:

أشكرك شكرك شكرًا جزيلا يا أستاذ زعرور.

زعرور:(متجنّبا) أنا خادمك المطيع يا آنسة، دائما...

ناجية: ماذا تقول؟ أنت خادمي؟ أنا كثيرًا ما أسمع هذه الكلمة تُردّدهاأفواه النّاس... لكنّها من فمك أنت تبدو لي عذبة، حلوة، لها رنين خاصّ.

زعرور: هيه... لأنّي ... لأنّي أقولها من قلبي يا آنستي، من سويداء قلبي...

ناجية: ربّما كان ذلك صحيح، ولكن يبدو لي أنّك تغيّرت بعض الشّيء، وقد كنت قبل اليوم أكثر لطفا وظرفا.

زعرور: يا سلام ... كيف ذلك؟ في أيّ شيء؟

ناجية: في مسائل كثيرة ... فأنت مثلاً كنت دائمًا تأتي إلى قسمي، وكنت تساعدني في تصحيح الدّروس أمّا الآن فلم تعد ترغب بمساعدتي.

زعرور: لكنّي، لو طلبت منك أن تسمح لي بمساعدتك، هل تفعلين؟

ناجية: لا أدري، إذا ما أسمح لك أم لا ...ولكنّك لم تطلب منّي ذلك على كلّ حال، ولو من باب المجاملة ... إنّي أشكرك على زجاجة الحبر... أنا ذاهبة إلى عملي.

زعرور: آنسة ناجية، آنسة ناجية لا تذهبي هكذا سريعا، اسمحي لي بكلمتين من فضلك.

ناجية: عفوًا يا أستاذ زعرور، لديّ أعمال كثيرة متراكمة أريد إنجازها، يجب أن أنهي تصحيح هذا الكوم من الكراريس.

زعرور: آنسة ناجية، زميلتي العزيزة، ابنة مديري المحبوب، لا يمكن أبدًا أن نفترق هكذا على سوء تفاهم فظيع.

ناجية: أيّ سوء تفاهم؟ ليس هناك أيّ سوء تفاهم.

زعرور: الحقيقة أنّي منذ أسبوعين لم أعرض عليك مساعدتي، لكن يجب أن تعلمي أنّ الشّيء الوحيد الذي منعني أنّي خفت أن تطرديني ولا تقبلي مساعدتي.

ناجية: ما أفصح لسانك يا أستاذ زعرور (تضحك).

زعرور:(يتقدّم إليها) أرجوك يا آنسة ناجية، ناوليني هذه الكراريس لأقوم بتصحيحها."(منور أحمد، 2015)[14].

نلحظ في هذا الحوار نوعًا من الاستغلال من قِبل المعلّمة ناجية للمعلّم زعرور، فهي تعلم أنّ زعرور يحبّها،فأرادت أن تستغلّ حبّه لها في قضاء مصالحها الشّخصية، فعند توقّف زعرور عن مساعدتها في تصحيح الكراريس، جاءت إليه لتحرّك مشاعره تجاههاوتحييها خاصّة عندما قال لها: أنا خادمك المطيع دائما يا آنسة...)، لنجد ردّها فيه نوعٌ من الرّومانسية والحبّ المزيّف (ماذا تقول؟ أنت خادمي؟ أنا كثيرا ما أسمع هذه الكلمة تردّدها أفواه النّاس... لكنّها من فمك أنت تبدو لي عذبة، حلوة، لها رنين خاصّ) نستنتج أنّ حوحو عمد إلى أن تكون شخصية البطل المأساوي من النّاحية العاطفية حزينة تراجيدية ليصل بالمتلقّي إلى الحقيقة التي تمجّد الإنسان غير الشّريف والسّويّ في الحياة؛ إذ يحقّق نجاحاتٍ كبيرة فيها كما يحظى بحبّ الآخرين له، عكس الإنسان الشّريف النّزيه الذي يلوّن حياته فقط الحزن والانتهاز من قِبل كلّ النّاس له، حتّى الجنس اللّطيف نجده حاضرًا في قضية الاستغلال والنّصب كما هو الحال بالنّسبة لمدام سيزان التي استغلّت أيضًا حبّ زعرور لها لتجعله يوقّع على الأوراق المتعلّقة بالصّفقات المشبوهة، فحوحو من خلال هذا كلّه يحاول أن يعكس واقع المجتمع الجزائري الذي انعدم فيه الحبّ الصّادق العفيف ليتفشّى حبّ من نوع آخر، حبّ المصلحة والذّات.

3.صراع البطل المأساوي

1.3.صراع البطل وواقعه الاجتماعي:

إنّ البطل دومًا في أيّة مسرحية كانت يعيش نوعًا من الصّراع اللاّمتناهي مع أعدائه الذين يشكّلون له عائقًا يعرقل مسار حياته ويقف أمامه حاجزًا في تحقيق أهدافه، فصراع البطل مع واقعه الاجتماعي حتميةٌوجب على كلّ بطل خوضها، فهو المبدأ الذي يحكم علاقات الأفراد "وهو مبدأ يحكم العلاقات بين الأفراد

والمجتمعات، موجودٌ ضمن الذّات البشرية"(القط عبد القادر، دت)[15]، لذلك نجده يقاوم ويجابه بشتّى الطّرق ليحقّق انتصاره في الأخير"، فالبطل شخص ممتاز مؤيّد بكلّ خصائص القوّةوالبأس والجرأة الوطنية، وهو محاطٌ بالأعداء من كلّ جانب في الدّاخل والخارج، وكان عليه يناضل ليتخلّص من الجميع وينتصر"(ابو القاسم سعد الله، 2007)[16]؛ إذ تلخّص هذا الصّراع في شكلين وهما كالآتي:

أ/ **تأنيب الضّمير**:

صحب تأنيب الضّمير البطل بعد اكتشافه حقيقة المدام سيزان وعبد المنعم " **النائب البلدي**" وحقيقة تورّطه في الصّفقات المشبوهة، كقضيّة السّيارات القديمة التي يتمّ بيعها على أساس أنّها جديدة،وغيرها من الأمور التي قلبت موازين حياته للأسوأ بعدما كان شخصا شريفا نزيها أصبح لصًّا محتالا وهو ما جاء في الحوار الذي جرى على لسان كلّ من البطل زعرور ومدام سيزان:

زعرور: لو قتلتني لكان أحسن... ولكنت أرحت حياتي من العذاب...الموت أفضل عندي من هذه القاذورات التي أتخبّط في حمأتها.

سيزان: أنا لست فاهمة ماذا ينقصك؟ لقد ربحت ما يزيد عن مائة ألف فرنك في أقلّ من شهر.

زعرور: ضميري... ضميري... شرفي... شرفي...

سيزان: دعك من خزعبلات الضّمير والشّرف.

زعرور: ضميري هو الذي يناديني، لا يدع لي فرصة أستريح فيها، لا ليلا ولا نهارا، إنّ هذه الأعمال المنحطّة، التي أنا قائم بها اليوم قد حطّمتني، وهدمت كياني، أنا مختفٍ هنا بين هذه الجدران لكنّ الدّنيا كلّها في الخارج تنظر إليّباحتقار، وتسخر منّي ... تطلّعت من النّافذة ذلك اليوم، فشاهدت ثلاث سيارات نقل مكتوب ... عليها اسمي لما شهادتها قفزت، وأغلقت النّافذة. كأنّ أفعى لسعتني، ولكنّ صوت النّاقلات كان يلاحقني، وكنت أسمعها تصرخ من بعيد: يا خائن، يا سارق...ياخائن...يا سارق"(منور أحمد، 2015)[17]

إنّ تأنيب الضّمير الذي يعانيه البطل ينم عن الذّات الخيّرة الموجودة عند كلّ إنسان، والتي يركّز عليها حوحو ليكشف لنا من خلالها الصّراع النّفسي الذي يعيشه الإنسان الشّريف في حالة وقوعه في الخطأ

والذي يعكس لنا بدوره تركيبة المجتمع الجزائري الذي يتكوّن من أفراد طيبين وأفرادًا أشرارًا لتكون الغلبة والانتصار في الأخير للذّات الخيّرة، وكأنّ حوحو يريد أن يُوصل لنا فكرة مفادها أنّ الشّرّ مهما انتشر في البلاد سوف يأتي يوم ويُقضى عليه إذا تحرّك ضمير الأمّة والشّعب؛ إذ نجد فيه دعوة للشّعب للثّورة ضدّ المستعمر الفرنسي ورؤوس الفساد في الدّولة، أمثال فئة نواب الشّعب ومحاولة القضاء عليها واستئصالها من جذورها.

ب/ محاربة الفساد والجريمة:

عرض لنا حوحو شخصية البطل المأساوي شخصيّة مكافحةً ومقاومة للفساد الحاصل في البلاد بالرّغم من سذاجتها، إلاّ أنّ نزاهتها وإخلاصها لعملها أهمّ شيء يميّزها، لكن يبقى للقدرة والنّفوذ أهمّية بالغة في الحياة خاصّة إذا عكسنا هذا الأمر على المجتمع الجزائري إبان فترة الاحتلال الفرنسي، لذلك يبقى زعرور عاجزًا عن مواجهة أفراد ذوي نفوذ في السّلطة، وهذا ما يوضّحه الحوار الذي بين أيدينا:

زعرور:(لسيزان): أتعرفين يا سيّدتي من عبد المنعم هذا؟

عبد المنعم: ماذا تقول؟ ما معنى هذا السّؤال؟

سيزان: ماذا؟ لم أفهمك؟

زعرور: يا سيّدتي هذا الرّجل الذي تثقين به، وتجعلين منه صديقك، ما هو إلاّ سارق سافل.

عبد المنعم: أنا؟ ... لقد جُنّ الرّجل وخرج من عقله.

سيزان: ما معنى هذا الكلام؟

زعرور: تلك هي الحقيقة، إنّ هذا الرّجل سارق، يذهب أموال الأمّة وسيكون مقرّه السّجن... في أمان الله، إلى اللقاء.

سيزان: إلى أين؟

زعرور: إلى نائب الحقّ العامّ... أين تريد أن أذهب.

عبد المنعم: (لسيزان): جيّدا جدّا ... لقد وضعتنا في مشكل لا نحسد عليه، وأنت السّبب في ذلك...

سيزان: اخرج قليلاً ودعني معه.

عبد المنعم: حدثيه بما شئت، ولكن إذا ما تمادى في غيّه سأدخله السّجن لمدّة حياته، إنّه يجهل قدرتي ونفوذي. (يخرج عبد المنعم).

سيزان: إنّي لم أفهمك يا سي زعرور؟ أفي الأمر شيء؟

زعرور: أتجهلين حقيقة هذا الرّجل؟ إنّه يسرق أموال الأمّة بأعماله السّافلة المنحطّة.

سيزان: عبد المنعم سارق؟ هذا أمر عجيب، وأنا كنت أحسبه رجلاً شريفا، هل بلغك عنه شيء.

زعرور:[18] إنّي مسرور يا سيّدتي، حيث لم تكوني شريكته في هذه السّرقات، وأحسن وسيلة هي أن نقدّم به تقريرا لوكيل الحقّ العامّ.(منور أحمد، 2015).

سيزان: الحقّ معك، لكن أخشى أن نقع أنا وأنت في هذه المصيبة.

زعرور: ونحن لماذا؟ مادام هو السّارق وحده؟

سيزان: لكنّ القضية باسمك أنت، ومن دون شكّ سيتخلّص من المسؤولية، ويقول أنّه لا يعرفك وسينتهي بأنّي شريكتك... وطبعا سأقع أنا في هذه المصيبة، وذنبي الوحيد أنّي أردت مساعدتك لا غير... أو ترضى أن يكون مصيري السّجن؟

زعرور: لا حول ولا قوة إلاّ بالله... لا أدري كيف العمل؟ فأنا لا أريد أن يصيبك أذى أو أن يلحق بك ضرر بسببي."(منور أحمد، 2015)[19].

إنّ للسّلطة والنّفوذ وقعٌعظيمفي مجتمعنا الجزائري كما للكذب والتّحايل مكانة وأثر بليغ في حياتنا الاجتماعية، لذلك يصعب على شخص بليد وساذج كزعرور تغيير واقع فاسد متأصّل في ذوات بعض الأفراد الجزائريّين أمثال "فئة النواب"، فحوحو يحاول بطريقة أو بأخرى دعوة النّاس جميعا لمحاربة الفساد الحاصل في البلاد بشتّى الطّرق عن طريق عملية الإصلاح.

.3. النّهاية المأساوية للبطل:

.13نهاية البطل المأساوي:

انتهت مسرحية **"النّائب المحترم"**نهايةً تراجيدية بموت البطل "زعرور" بعد صراعه النّفسي ومعاناة تأنيب الضّمير له بعد تورّطه بالصّفقات المشبوهة التي قام بالتّوقيع عليها وأسهم من خلالها بإلحاق الضّرر للأفراد والأمّة، ليحقّق حوحو من خلال موت البطل انتصارًا للذّات الخيّرة على الّذات الشّريرة للبطل متناسيا أنّ موت البطل في هذه المسرحية لا يعني القضاء على رؤوس الفساد في الدّولة، وبالتّالي استئصال الفساد من جذوره ، بقاء كلٍّ من عبد المنعم والمدام سيزان أحياء يشكّل خطرًا على الأمّة وهو الخطأ الذي وقع فيه "حوحو"، ونستنتج من هذا التّغيير الجذري الذي أدخله المقتبس على مصير البطل أنّه لا يتّفق مع المؤلّف في فلسفته الاجتماعية المتشائمة التي دفعت به إلى جعل نوازع الشّرّ في نفس بطله تتغلّب على نوازع الخير فيها، فجعل بطله على عكس ذلك؛ ينتحر ولا يتخلّى عن مبادئه، وهو الشّيء الذي يذكّرنا إلى حدٍّبعيدٍ حينما لم يمض في مخالفة المؤلّف إلى آخر الشّوط،ويتمثّل ذلك الخطأ في عدم كشفه،بشكل من الأشكال، أمر الشّريكين وجعلهما يلقيان جزاءهما المستحقّ."(منور أحمد، 2005)[20].

4. خاتمة:

نستخلص أخيرًا أنّ أحمد رضا حوحو وُفّق في رسمه صورةَ البطل المأساوي، وهو ما أملته علينا النّهاية المأساوية للمسرحية، كما نجد في الأبعاد الثّلاثة المادّية والنّفسية والسّياسية للبطل واقعًا يعكس الحياة الاجتماعية والسّياسية التي عايشها حوحو إبّان فترة الاحتلال الفرنسي والتي تميّزت بوجود بعض رؤوس الفساد في الدّولة والتي تمثّلت في "فئة نواب الشّعب" التي حاول حوحو محاربتها بشتّى الّطرق، ليرسي عدّة مبادئ أخلاقية من خلال شخصية البطل زعرور، من صدق ونزاهة و إخلاص ...وغيرها من المبادئ التي دعا حوحو الأفراد لضرورة التّمسّك بها، ومن أبرز النّتائج المتحصّل عليها في هذا المقال:

1. تحمل مسرحية " النّائب المحترم" بُعدا سياسيًا بحتًا أكثر من كونها مسرحية اجتماعية.

2. يعش الإنسان الشّريف حياة الفقر؛ لكن هذه الحياة تملؤها السّعادة والطّمأنينة، لأنّ الحياة قائمة على أساس الوازع الدّيني، فإذا تأمّلنا الحياة التي كان يعشها زعرور عندما كان يعمل،وجدناها حياةً

ليست كالحياة التي يعشها وهو مسؤولوذو منصبٍ في الدّولة، فالأولى ممتلئة بالحبّ والسّعادة والطّمأنينة لكنّ الحياة الثّانية حياة مليئة بالحزن والأسى ولا ننسى تأنيب الضّمير لأنّها حياة بعيدة كلّ البعد على الدّيني والأخلاقي.

3. أراد حوحو إثبات أنّ الأشياء التي نتعلّمها في المدارس تختلف كلّ الاختلاف عمّا هو موجود في الواقع، فالبطل "زعرور" كلّ ما تعلّمهوعلّمه في المدرسة عكس الواقع المعيش، فالإنسان الشّريف الفقير في نظر المجتمع والأفراد ليس له أيّةقيمة، فقيمة الشّخص في نظرهم تمكّن في مظهره الخارجي؛ فالمال عندهم أهمّ من الأخلاق التي يمتلكها الشّخص.

4. الابتعاد عن الدّين ونقص الوازع الدّينيسبب كلّ الانحرافات الحاصلة في المجتمع.

5. نلمس جفاء القلب وقساوته بالنّسبة للأشخاص والأفراد الذين يعيشون حياتهم على أساس النّصب والاحتيال؛ أي غياب شبه تامّ لعاطفة الحبّ بالنّسبة لهؤلاء الأشخاص؛ لأنّ حياتهم مبنيةٌ على المصلحة الشّخصية فقط، وهو ما يسمّيه بعض الدّارسين في علم النّفس الاجتماعي بالعاطفة الآنية؛ أي العاطفة التي سرعان ما تنقضي وتزول بمجرّد انقضاء المصلحة.

أمّا فيما يتعلّق بالاقتراحات والتّوصيات بالنّسبة لهذا المقال أغلبها متعلّقة بالنّصّ المسرحي:

1. وجدت أنّ موت البطل "زعرور" في مسرحية النّائب المحترم" أكبر خطأ وقع فيه حوحو لأنّ موت البطل هنا لا يعني أنّ الفساد لم يعد موجودًا في المجتمع، فموت البطل بدل موت عبد المنعم الذي يمثّل النّائب البلدي ومدام سيزان، الفساد بقي موجودًا ببقاء هذين الشّخصيتين؛ لأنّهما يمثّلان رؤوس الفساد في الدّولة، حبّذا لو حافظ حوحو على بقاء البطل على قيد الحياة وقام بقتل الشّخصيات المضادّة في المسرحية (عبد المنعم؛ ومدام سيزان).

2. وجود تناقض في الأفكار والسّير العامّ للأحداث داخل المسرحية خاصّةً من ناحية رسم الكاتب شخصيةَ البطل، فالبطل الذي رسمه حوحو بطل يتميّز بالنّزاهة والتّفاني في العمل؛ بحيث كان يردّد شعار "لا ينجح في الحياة إلاّ الإنسان الشّريف" أثناء إلقاء الدّروس للتّلاميذ، ثمّ نجد أنّ هذا البطل النّزيه يرتكب جرائمَ شنيعةًبحق الشّعب، حبّذا لو رسم لنا حوحو شخصية البطل شخصية غير نزيهة، فإذا أخطأ

ثمّ أدرك خطأه وتراجع عنه يمكن للعقل أن يتقبّلها، لكن نجد أنّ البطل زعرور إنسان نزيه في عمله لا يقبل الرّبا "الرّشوة "، إذ أنّه رفض وسام المعارف الذي لطالما حلم به مقابل تخلّيه عن نزاهته في تزويره نقاطَ الامتحانات لتلميذ يدرس عنده.

3. نجد أنّ التّسمية التي اختارها الكاتب بالنّسبة للبطل " زعرور" تتناقض ونوعَ المسرحية فمسرحية "النّائب المحترم" مسرحية تراجيدية وليست مسرحية كوميدية، وجدت الاسم هنا يتناسب مع المسرحيات الكوميدية ذات الطّابع الفكاهي وليست المسرحيات التّراجيدية ذاتالطّابع المأساوي.

5. قائمة المراجع:

المؤلّفات

. منور، أحمد، (ت 2015م)، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، مقامات للنّشر والتّوزيع الجزائر.

. أبو القاسم،سعد الله، (ت 2007م)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرّائد للكتاب الجزائر.

. منور، أحمد، (ت 2005م)، مسرح الفرجة والنّضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، دار هومه للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

. لمباركية، صالح، (ت 2007م)،المسرح في الجزائر، دار بهاء الدّين للنّشر والتّوزيع قسنطينة، الجزائر.

. القطّ، عبد القادر، (د ت)، من فنون الأدب المسرحي، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، نظرة جديدة.

. جذري،عبد المجيد، (ت 2002م)، التّقنية المسرحية، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرّغاية الجزائر.

.كامل، محمّد مصطفى (ت 2013م)، موسوعة المسرح العربي، دار المنهل اللبناني، لبنان.

الأطروحات:

. ذياب، رابح، (ت 2010م، 2011م)،الخطاب المسرحي "الملك هو الملك" لسعد الله ونوس، دراسة بنيوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

[1]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، مقامات للنّشر والتّوزيع، د ط، ت 2015، ص 488، ص 489، ص 490.
[2]كامل، محمّدمصطفى: موسوعة المسرح العربي، دار المنهل اللّبناني، ط 1، ت 2013م، ص 363.
[3]أمنور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 429.
[4]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 453، ص 354، ص 455.
[5]ذياب، رابح، الخطاب المسرحي في مسرحية" الملك هو الملك" لسعد الله ونّوس دراسة بنيوية، مذكّرة ماجستير، تحت إشراف: أحمد جاب الله، ت 2010م، ص 90.
[6]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، مقامات للنّشر والتّوزيع، د ط، ت 2005م، ص 489.
[7]لمباركية،صالح، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدّين للنّشر والتّوزيع،قسنطينة، ط 2، ت 2007م، ص 277.
[8]جذري، عبد المجيد، التّقنية المسرحية، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرّغاية، الجزائر، د ط، ت 2002م، ص 107.
[9]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 522، ص 523، ص 524، 525.
[10]منور، أحمد، مسرح الفرجة والنّضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، دار هومة للطّباعة والنّشر، ط1، ت 2005، ص 161.
[11]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 528، ص 529، ص 530، ص 531.
[12]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 466، ص 447، ص 448، ص 449.
[13]منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 504، ص 505، ص 506، ص 507.
[14] منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 432، ص 433، ص 434.
[15]القط، عبد القادر، من فنون الأدب المسرحي، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر الدّرامية نظرة جديدة، ص 53.
[16] د. أبو القاسم، سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرّائد للكتاب الجزائر، ط5، ت 2007م، ص 63.
[17] منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 524، ص 525.
[18] منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 402، ص403.
[19] منور، أحمد، أحمد رضا حوحو، المؤلّفات الكاملة المسرحية، ص 510، ص 511، ص 512، ص 513.
[20] د. منور، أحمد، مسرح الفرجة والنّضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، ص 127.